

لا يـمكننا الـعودة لـلوطـن مـرة أخـري : مرافعة ضد الافرومركزيـة

كلارينس ووكر

ترجمة وتلخيص : محمد عبد القيوم

كان شعب مصر القديمة من أصول اثنية مختلطة. لا تنحصر جذورهم في إفريقيا فحسب ، بل تمتد أيضًا إلى البحر المتوسط وآسيا الصغرى. لم يفكر المصريون القدماء في الناس من حيث الأجناس السوداء أو البيضاء. كتب فرانك يوركو: "إن قضية المصريين السود أو البيض برمتها مجرد وهم" ، "الحمولة الثقافية من مجتمعنا لا يمكن فرضها إلا بشكل مصطنع على المجتمع المصري القديم". ويواصل يوركو "أن المصريين القدماء ، مثل أحفادهم الحديثين ، كانوا ذوي بشرة متفاوتة ، من النوع المتوسطي الفاتح (مثل نفرتيتي) إلى البني الفاتح لمصر الوسطى إلى البني الغامق في صعيد مصر ، إلى أحلك ظل حول أسوان ومنطقة الشلال الأول ، حيث حتى اليوم تظهر تتحول التركيبة السكانية إلى النوبية. ولأن المصريين لم يكونوا واعين بالعرق بالمعنى الحديث ، فقد قاموا بتجنيد الأعداء في جيشهم الخاص وسمحوا لهؤلاء الأشخاص بالاندماج في مجتمع وادي النيل ، على الرغم من أنهم جاءوا من خلفيات عرقية مختلفة. أدى اندماج أنواع مختلفة من الناس في الجيش المصري إلى خلق دولة كان سكانها غير متجانسين. في لحظات مختلفة من التاريخ القديم ، حصل النوبيون والساميون الذين خدموا في آلة حرب الفرعون على الأرض كمكافآت عند التقاعد ، وتزاوجوا مع المصريين ، وأنجبوا ذرية مختلطة. ومع ذلك ، لا تعني حقيقة أن المصريين تزوجوا ممن قهروا أنهم اعتقدوا أنهم متساوون. يمكن ملاحظة ذلك في مواقفهم تجاه النوبيين. النوبة ، أو كوش ، كما كان يُطلق عليها في العالم القديم ، هي السودان الحديث. أطلق المصريون على النوبة اسم "كوش البائسة"

واعتقدوا أن البلاد وشعبها متخلفون. بالنسبة للمصريين ، كانت النوبة مصدرًا للمواد الخام والعبيد. عندما احتل فرعون تحتمس الأول النوبة ، كتب كتبتة ما يلي عن "سيّد الدولتين":

"أطاح برئيس [النوبيين]. الزنجي [العاجز ، الأعزل] ووقع في قبضته. لقد وحد حدود هذين الجانبين ، ولم يكن هناك بقية بين ذوي الشعر المجعد الذين يأتون لمهاجمته ؛ لا يوجد ناج واحد بينهم. سقط النوبون بالسيف وطرحوا جانبًا في أراضيهم . الشظايا المقطوعة منهم أكثر من اللازم للطيور ، ويحملون كفرائس إلى كل كل الاماكن". وفي مناسبة أخرى ، كتب المؤرخ أن تحتمس "أبحر في اتجاه النهر ، وفي قبضته جميع البلدان ، وأن تروجلوديت النوبي البائس يُشنق رأسه إلى أسفل عند [مقدم] جلالته ، ونزل جلالته في الكرنك. " كان النوبيون واحدًا من العديد من الشعوب التي جلبتها مصر التوسعية تحت سيطرتها. استمرت السيادة المصرية في النوبة لأكثر من 2000 عام ، ويمكن تتبع هذه العلاقة من بدايات مصر الأولى حتى زوالها . وبالمقابل احتلت النوبة مصر وحكمت هناك من 747 إلى 656 قبل الميلاد. لإضفاء الشرعية على أنفسهم كحكام لمصر العليا والسفلى ، تبنى الفراعنة النوبيون أساليب وألقاب أسيادهم السابقين ، تمامًا كما عزز أباطرة الصين المغول والمانشو سلطتهم من خلال تبني لقب "ابن السماء". مثل الصين القديمة ، كانت مصر القديمة حضارة غزت وتم غزوها. إن المقاربة العرقية المبسطة التي تتبعها الافرومركزية لدراسة التاريخ غير كافية على الإطلاق ، بالنظر إلى تعقيدات الغزو ، والإخضاع ، والاختلاف الثقافي ، والاستيلاء الثقافي في العالم القديم.

في سعيهم لخلق ماضٍ مجيد وقابل للاستخدام من قبل الأمريكيين السود اليوم ، أعاد أنصار الافرومركزية قراءة المقولات العرقية الحديثة إلى عالم لا معنى لها فيه. العبودية ، على سبيل المثال ، لم تكن عرقية في العالم القديم ، كما كانت لاحقاً في أمريكا. بين القدماء ، كانت العبودية تتخطى الخطوط العرقية والطبقية. فهم مؤرخ القرن التاسع عشر جورج واشنطن ويليامز هذا عندما كتب عن العبودية القديمة أنها "لم تكن ، في هذا الوقت ، محصورة في أي عرق معين. تشير ملاحظة ويليامز إلى أن العرق لا يمكن قراءته على أنه فئة ما وراء التاريخ في دراسة الماضي. لفهم العالم القديم ، علينا التخلي عن العرق كعلامة على الوضع الاجتماعي. ليس له معنى في هذا السياق ، لأن العرق هو بناء إشكالي عندما يتم عرضه في عالم حيث يكون للوضع الاجتماعي قواعد أخرى. نظرًا لأن العرق هو بناء اجتماعي ، وليس مرجعًا بيولوجيًا كما يدعي الأفرومركزيون ، علينا أن نكون متشككين في قراءتهم لمصر باعتبارها حضارة سوداء.

في تعريف العرق على أنه بناء اجتماعي ، لا أريد الإيحاء بأنه غير واقعي. كتصنيف نعيش ، فللعرق انعكاسات مادية مضطردة على الأشخاص الذين تم تعريفهم على أنهم ذوات عرقية ، ولكن بما أنني أستخدمه هنا فهو غير أساسي وغير بيولوجي. أنا أفهم أن العرق هو تصنيف نسبي محدد تاريخيًا واجتماعيًا وسياسيًا ويخض للتغير بمرور الوقت . في الأدبيات الأفرومركزية ، يتم استبعاد هذه الديناميكية عند ادعاء ان مصر كموقع هي منشأ للحضارة الغربية. وهذا يعطي للتاريخ الأفرومركزي نصًا

فرعيًا بيولوجيًا. لأنه ، من وجهة نظر الافرومركزيين ، كانت مصر دولة سوداء تم نسخ إنتاجها الثقافي من قبل اليونان وروما ، وما نسميه "الحضارة الغربية" مشتق من إفريقيا ، مكان "المصدر والأصل". باختصار ، "اخواننا وأخواتنا "تفوقوا على الإغريق.
السؤال الذي يجب طرحه في هذه المرحلة هو هل الإثيوبيون والمصريون زنوج؟ الإجابة على هذا الاستعلام ليست مباشرة. على سبيل المثال ، عندما طُلب من الإمبراطور الأثيوبي مينيلك الثاني في عام 1903 "أن يصبح الرئيس الفخري لجمعية النهوض بالزنوج" ، أجاب جلالة الإمبراطور ، "تلك فكرة ممتازة ؛ يجب رفع مكانة الزنجي ، لكنني لست زنجيًا ". تاريخيًا ، لم تكن الطبقة العليا الأثيوبية تعتبر نفسها زنجية. في الواقع ، استخدم هؤلاء الأشخاص مصطلحًا مهينًا ، "الشنقالة" لوصف الأشخاص الذين كانت بشرتهم أغمق من بشرتهم. كلمة "شنقالة" ، كما يشير احد المؤرخين ، "تشير إلى مجموعة كاملة من الشعوب المحيطة الزنجية بالايحاء الإنجليزي او الأمريكي للكلمة. في العالم القديم لم يكن هناك" زنوج "؛ وبالتالي فإن الأشخاص الذين أطلق عليهم الإغريق الأثيوبيون ليسوا زنوجًا كما نستخدم هذا المصطلح اليوم. لم يكن مفهوم العرق كما هو مستخدم حاليًا "معروفًا لقدماء المصريين. تم تحديد غير المصريين من خلال قبائلهم وتصنيفاتهم العرقية ؛ أو حسب المنطقة / الدولة التي أتوا منها . باختصار ، لم يعمل اللون في هذا السياق بالطريقة التي يعمل بها في أمريكا المعاصرة.

المركزية الأفريقية (الافرومركزية) هي أسطورة عنصرية ورجعية وآلية تعويض نفسي في ذات الوقت. إنها تشير إلى أنه لم يحدث شيء مهم في التاريخ الأسود منذ زمن الفراعنة ، وبالتالي تقلل من أهمية تاريخ الأمريكيين السود. تركز الحركة الأفرومركزية على مصر بطريقة مثيرة للغرابة. علاوة على ذلك ، فإن الأفرومركزية تقدم أفريقيا في شكل كاريكاتيري من خلال فرض تجانس علي التجارب المتنوعة للأفارقة عبر الزمان والمكان. أخيرًا ، لا تشكل الافرومركزية ، كما يؤكد أحد مؤيديها البارزين ، "علماً جديداً للتاريخ، قائمًا على التطلعات والرؤى والمفاهيم الأفريقية".

عندما تجرد الافرومركزية من ادعاءاتها بأنها شكل من أشكال التحريفية التاريخية التي تعيد هيكلة "اللغة لقول الحقيقة" ، فإنها تقصر عن كونها مقاربة بناءة للتاريخ. فلكي يكون التاريخ ذا مصداقية ، يجب أن يرتكز على البيانات ، ويجب أن يربط المحلي والجزئي بالعالمي والعام. يجب أن يمنح التاريخ الجيد الفاعلين ارادة ، ويظهر احتمالية الأحداث ، ويفحص انتشار السلطة. يجب أن يسعى أيضًا إلى فهم الفاعلين التاريخيين وفق معاييرهم وشروطهم الخاصة. لا تحقق الافرومركزية أيًا من هذه المعايير ، وبالتالي يجب قراءتها على أنها "عرض انتقائي آخر للتاريخ" ، في تقليد الحركات القومية منذ القرن التاسع عشر. في الواقع ، كيف يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ، حيث أن الافرومركزية هي أوروبية في بوجه أسود؟ يمكن ملاحظة ذلك في التصنيفات ذاتها التي تستخدمها الافرومركزية لتعريف نفسها. الكلمات المستخدمة بشكل متكرر مثل "كلاسيكي" و "أفريقي" ، على سبيل المثال ، لها أصل غربي وليست أفريقية في الأصل. تأتي كلمة "كلاسيكي" من الصفة اللاتينية "الكلاسيكية" ، التي تشير في الأصل إلى شخص يتوق إلى أعلى الطبقات الخمس من المواطنين الرومان. لاحقًا ، وطبقًا لـ Seth R. Schein ، تم تطبيق كلمة "الكلاسيكية" على اللغتين

اليونانية والرومانية لتمييزها عن اللغات الرومانسية الحديثة ، والتي كان ينظر إليها الأصوليون اللغويون على أنها انفجارات من اليونانية واللاتينية. كلمة "أفريقي" مشتقة أيضًا من أوروبا. يعتقد الأشخاص الذين يعيشون في العالم الكلاسيكي أن هناك العديد من الأفارقة: "الوجه الشمالي لأفريقيا على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط ، و" أفريقيا السوداء "في الجنوب ، والوصل عبر النيل من النوبة إلى السودان الذي يشكل أيضًا "إفريقيا الثالثة". عندما أطلق موليفي اسانتي علي كتابه الجديد اسم :أفريقيا الكلاسيكية"، فالي أي افريقيا كان يشير بالتحديد ؟ عندما يوظفون هذا المصطلح "أفريقيا"، فان اسانتي ورفاقه الافرومركزيين يقعون في فخ نفس التصنيفات التي يزعمون الانتفاض عليها.

تظهر مشاكل مماثلة مع كلمة "أوروبا". في المقام الأول ، لم يكن هناك تصور لمكان يسمى أوروبا في العالم القديم، فقط في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ظهرت فكرة أوروبا ، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمفهوم العالم المسيحي اللاتيني. في الواقع ، سبقت كلمة "العالم المسيحي" استخدام كلمة "أوروبا". عرف الناس الذين عاشوا في القارة الأوروبية بين القرنين العاشر والرابع عشر أنفسهم إما كمسيحيين لاتينيين أو مسيحيين أرثوذكس. كان عدو المجموعتين الإسلام. بين عامي 950 و 1350 ، تحركت المسيحية اللاتينية إلى الشرق ، محتلةً ومستعمرةً للأراض التي لم تكن متحضرة. هذه المناطق ، بحلول القرن الرابع عشر ، أطلقت على نفسها اسم "أوروبا". وهكذا ، مثل "إفريقيا" ، كانت "أوروبا" اختراعًا ، وكانت فكرة أوروبا ، كما أشار جيرارد ديلانتي ، "مرتبطة بالدولة ... بتقاليد وثقافات النخبة بدلاً من سياسة المجتمع المدني". ثم ينتقل ديلانتي لملاحظة المعنى المتقلب لكلمة "أوروبا".

ان الحديث عن أوروبا على أنها "اختراع" يعني التأكيد على الطرق التي تم بها تشييدها من خلال دينامية تاريخية. إنه التأكيد على أن أوروبا ليست موضوعًا للتاريخ بقدر ما هي نتاجه، وما نسميه أوروبا هو ، في الواقع ،

واقع مختلَق تاريخيًا للأشكال والديناميات المتغيرة باستمرار. معظم أوروبا هي أوروبية بأثر رجعي فقط وقد تم اختراعها على صورة حداثة مشوهة. علاوة على ذلك ، فإن تاريخ أوروبا هو تاريخ ليس فقط لأفكارها الموحدة ، ولكن أيضًا تاريخ انقساماتها وحدودها ، الداخلية منها والخارجية.

انني أختلف مع عدد من الافرومركزيين الذين يزعمون أن إفريقيا - وخاصة مصر - كانت أم الغرب. على سبيل المثال ، نتج فن العمارة والكتابة المصرية القديمة عندما كانت حضارة وادي النيل عبر اتصال مع السومريين. الري ، شريان الحياة لأرض الفراعنة ، تطور أيضًا من اتصالات مصر مع السومريين . هذه الأمثلة على الاقتراض الثقافي مهمة لأنها تلقي الضوء على إخفاقات أخرى من جانب المؤرخين الافرومركزيين - تتعلق بتركيزهم على الأصول. ان الافرومركزية هي مثال حرفي لما أسماه الاقتصادي الفرنسي فرانسوا سيميان "المعبود الزمني ، أي عادة فقدان الذات في دراسات المنشأ". لكن التركيز على "الأصل" أو "من فعل ماذا اولاً" لا يكشف الكثير عن الماضي. وسوف نتطرق لاحقاً لمعالجة تفصيلية لهذه النقطة.

3

على الرغم من ادعاءات الحركة الافرومركزية بأنها حركة جديدة ، فهي في الواقع ليست كذلك. ان الاحتفاء بإثيوبيا أو مصر كمواقع م لأصل السود وانجازهم الحضاري يعود إلى قرون عديدة. فخلال القرون الوسطى في أوروبا، برزت صورة إيجابية عن إثيوبيا، واعتقد المسيحيون اللاتينيون أنهم في يوم من الأيام سيضمون كفاحهم ضد الإسلام مع إثيوبيا المسيحية ،و التي كان يحكمها ملك أسطوري يدعى القديس يوحنا. مصدر آخر

للاعتقاد في أفريقيا كعامل للخلاص ومثال للإنجاز في التاريخ كان "مقطعًا غامضًا في المزامير يتنبأ بأن" الأمراء سيخرجون من مصر ؛ وسوف تمد إثيوبيا يديها إلى الله قريبًا ". عندما كنت طفلاً قرأت هذا المقطع على مراوح الورق في كنيسة جدتي في شوجر لاند ، تكساس. لم تستطع جدتي أن تخبرني لماذا جاء الأمراء من مصر وإثيوبيا وليس من أجزاء أخرى من العالم التوراتي. وجدت إجابة لسؤال طفولتي عندما أصبحت مؤرخًا. وفقًا لجيمس كامبل ، بعد نشر إصدار الملك جيمس للكتاب المقدس ، أصبحت كلمة "إثيوبيا" تُستخدم "كمصطلح عام لأفريقيا". تستند النزعة الافرومركزية إلى تقليد النظر إلى إفريقيا ، أو "إثيوبيا" ، بالمعنى الواسع ، كموطن لإنجازات السود. يطلق المؤرخون على هذه الفكرة اسم "الإثيوبانية" ، وفي القرن التاسع عشر استخدم كل من الأفارقة السود والأمريكيين ليعطوا أنفسهم ماضٍ تليد من العظمة 68:31 السود المزمور والانجاز. ووفقًا لكامبل ، في القرن التاسع عشر ، امتلك مصطلح "إثيوبيا" إشارة حرفية إلى الحبشة المعاصرة ، الدولة الأفريقية الوحيدة التي لم تخضع بعد للحكم الاستعماري. ومجازاً موجودة خارج الزمن التاريخي. عمليًا ، غطت هذه الاشارات علي بعضها البعض . ما كتبه كامبل عن أنصار الإثيوبيين الأفارقة في القرن التاسع عشر ينطبق أيضًا على الافرومركزيين اليوم. ويشير إلى أن الأفارقة السود "باستحضارهم الحبشة" يحاولون الاستيلاء علي تاريخ مسيحي يمتد لألف عام ويتناقض مع فكرة الماضي الأفريق الهمجي.

وبالفعل ، فإن وجود مملكة مسيحية في إفريقيا في وقت كانت فيه أوروبا غارقة في الوثنية لكفيل بقلب المنظور والتاريخ الاستعماري ، بجعل إفريقيا المهد الحقيقي للحضارة. تستند الافرومركزية إلى روح هذا التقليد ، ولكن فقط في شكل منزوع من المسيحية.

فكرة أن الأفارقة السود يمكن أن يلعبوا دورًا في انتصار المسيحية على الإسلام تلاشت بعد الحروب الصليبية. أصبح هذا المفهوم غير مقبول لأن هذا الجزء من العالم الذي نسميه الآن أوروبا أصبح متورطًا في القرن السادس عشر في بيع الوثنيين السود إلى العالم الجديد. لكن ما لم يمت هو فكرة أن أفريقيا كانت الموقع الأصلي للحضارة. ظل هذا الاعتقاد حياً في القرن التالي بواسطة الماسونيين ، الذين اعتبروا مصر ، على غرار هيرودوت ، مصدر المعرفة. كان لهذه النزعة من الماسونية الباطنية تأثير عميق على فكر السود في القرن الثامن عشر ، وخاصة على هؤلاء السود الذين أصبحوا ماسونيين هم أنفسهم.

4

تطورت الماسونية في اسكتلندا في القرن السابع عشر ، وأصبحت شائعة بشكل عام في أوروبا في القرن الثامن عشر ، وانتشرت بعد ذلك إلى أمريكا الشمالية. في أعقاب الحرب الثورية ، أسس الزنوج الأحرار بقيادة برنس هول ، الذي قاتل في الحرب ، محافلهم

الخاصة لأنهم استبعدوا من الماسونية البيضاء. تم تنظيم أول نزل ماسوني أسود في بوسطن عام 1775. واطلق عليه اسم برنس هول في عام 1787 ، وتطور بعد عام 1791 إلى منظمة أخوية وطنية سوداء. تم الإعلان عن أهمية الاصل الافريقي للماسون وطرح ذلك بدون حجج فعلية في أطروحة مارتن ر. ديلاني عام 1853 والموسومة "أصول وتقاليد الاخوية القديمة". كتب ديلاني: "حقًا" ، "إذا لم يكن للعرق الأفريقي أي مطالبات مشروعة في الماسونية ، فإنه يكون شرعيًا لبقية الجنس البشري ... إنها حقيقة ثابتة ومعترف بها ، يعترف بها جميع الكتاب والخطباء الأذكياء. أن العالم مدين لأفريقيا بمعرفته بأسرار الماسونية القديمة. لو لم يعش موسى أو الإسرائيليون في أفريقيا قط ، لما انتقلت ألغاز حكماء الشرق إلينا ". ولاحظ ديلاني لاحقًا:

أليست إفريقيا هي التي ولدت إقليدس ، المهندس الرئيسي في التاريخ؟ اولم يكن نتيجة الإقامة لمدة خمسة وعشرين عامًا في إفريقيا أن فيثاغورس العظيم قد تمكن من اكتشاف المشكلة الرئيسية -

المشكلة السابعة والأربعون لإقليدس - والتي بدونها لن تكتمل الماسونية؟ هل يجب أن أتردد في إخبار العالم أنه ، كما تم تطبيقه على الماسونية ، تم شرح كلمة - اوريكا - لأول مرة في إفريقيا؟ لكن هنا ! لقد كشفت السر الماسوني ، ويجب أن أتوقف!

أصبحت هذه الأفكار جزءًا من تقليد الماسونية السوداء ، منتقلةً إلى ثقافة الطبقة الوسطى السوداء ثم أثّرت لاحقًا على النزعة الافرومركزية. كما أناقش أدناه ، كانت هذه الأفكار أيضًا جزءًا من تبرير إلغاء عقوبة الإعدام للسود.
خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، أعطت فكرة أن إفريقيا كانت الموقع الأصلي للحضارة دفعة جديدة في أوروبا. إذا نظرنا إلى الوراء، إلى العالم القديم ، فقد رسم العلماء الفرنسيون نمو الحضارة من وادي النيل إلى اليونان وروما . في عام 1796 ، نشر الفيلسوف قسطنطين فرانسوا دي تشاسيبوف ، الذي أطلق عليه لاحقًا اسم Compte de Volney من قبل نابليون ، كتابًا قدر ان يكون له تأثير عميق على

دعاة إلغاء عقوبة الإعدام من البيض والسود في أوروبا وأمريكا. "الأنقاض: مسح لثورات الإمبراطوريات" كان مبنياً علي رحلات دي فولني الي مصر وسوريا. لاحظ دي فولني ، وهو يكتب عن الشرق الأوسط ، "لقد اكتشف الناس هنا ، منذ وقت طويل ، عناصر العلم والفن ، في وقت كان فيه جميع الرجال بربريين ، وكان هذا العرق، الذي يُنظر إليه الآن على أنه نفايات المجتمع ، لأن شعرهم صوفي ، وبشرتهم داكنة ، تاملوا من خلال ظواهر الطبيعة ، وانتجوا تلك الأنظمة المدنية والدينية التي أذهلت البشرية منذ ذلك الحين ". ان الصورة المرسومة بواسطة دي فولني لمصر سوداء مشتقة ابالصل من من المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت ، والذي لوحظ بالفعل تأثيره على الماسونية.

لم يكن دي فولني وحده من يعتقد أن مصر كانت دولة سوداء ومصدر للحضارة الغربية. في القرن التاسع عشر ، اعتقد مثقفون فرنسيون آخرون ، مثل الأب هنري جريجوار ، أن المصريين القدماء كانوا من السود وعلموا "رجال اليونان الموقرين والمتعلمين".

حتى أواخر عام 1840 كرر فيكتور شولشر ادعاءات دي فولني ، تحديداً ان السود قاموا بتأسيس الحضارة المصرية القديمة. وفي فرنسا في القرن التاسع عشر ، تم استخدام أعمال دي فولني ، وغريغوار ، وشولشر للدفاع عن فكرة تحرير السود. ولكن المهم أيضًا في هذا العمل هو أنه ، منذ بداياته في أواخر القرن الثامن عشر ، تطور إلى قاعدة فكرية بين دعاة إلغاء عقوبة الإعدام، والذين صوروا السود على أنهم محركين وفاعلين ، وليسوا مجرد موضوعات للتاريخ.